

## المدرسة الأصولية في موريتانيا أعلامها وإنتاجها الفكري

"La école fondamentaliste en Mauritanie

: Ses Personnages et sa Production Intellectuelle"

الدكتور محمد الزين إسحاق

Dr. Mohamed Zein Issehagh

[med.zein696@gmail.com](mailto:med.zein696@gmail.com)

### الملخص:

تناولت هذه الدراسة تأريخ الفكر الأصولي ومراحل تطوره ونشأته في القطر الشنقيطي، ويمكن حصر خلاصة هذا البحث في كون الشناقطة (الموريتانيين) بالرغم من البعد عن المركز وغياب الاستقرار السكاني والسلطة التنظيمية تمكنوا من المشاركة والمساهمة في التراث الإسلامي، بل بالإضافة فيه أحيانا: وذلك من خلال حقل من أعظم الحقول الإسلامية وأكثرها تعقيدا، وأدقها إشكالا ألا وهو علم أصول الفقه، ويتضح ذلك جليا من خلال المساهمة في التأليف القيمة والمناقشات المثمرة التي أبانت عن النضج والفهم العميق لمسالك هذا العلم، وتطويع قواعده وسبر أغواره، مع التنبيه إلى إهمال أغلب مجهوداتهم بين خزائن المخطوطات، وغياب الطباعة والنشر. كما يظهر لنا من خلال موضوعات هذا البحث المكانة الكبيرة التي وصل إليها رواد هذا القطر بين أعلام الأمة، وسدنة المذهب، بالرغم من ضعف الوسائل وغياب التعريف.

**الكلمات المفتاحية:** الفكر الأصولي، الشناقطة، أصول الفقه، موريتانيا

### Résumé de la recherche:

Cette étude a abordé l'histoire de la pensée juridique islamique, les étapes de son développement, et son émergence dans le territoire de la Mauritanie (Chinguetti). On peut résumer les conclusions de cette recherche en soulignant que les Mauritaniens (Chinguettiens), malgré leur éloignement du centre, l'absence de stabilité démographique et d'autorité organisationnelle, ont réussi à participer et à contribuer au patrimoine islamique, voire parfois à y apporter des ajouts. Et cela, à travers l'un des domaines les plus importants, les plus complexes et les plus délicats de l'Islam : la science des fondements du fiqh islamique. Cela est clairement illustré par leur contribution à des œuvres de grande valeur et des discussions fructueuses qui ont

révélé une maturité et une compréhension approfondie des chemins de cette science, en maîtrisant ses règles et en explorant ses profondeurs. Il convient de noter que la majorité de leurs efforts restent négligés dans les collections de manuscrits, en raison de l'absence d'impression et de publication.

Les thèmes de cette recherche montrent également la grande place qu'ont atteinte les pionniers de ce territoire parmi les éminents savants de la nation et les gardiens de l'école juridique, malgré la faiblesse des moyens et l'absence de reconnaissance

**Mots-clés :** pensée fondamentaliste, Chinguitt, fondements du droit (Usul al-fiqh), Mauritanie

#### المقدمة:

يعتبر أصول الفقه من أبرز المجالات التي اهتم بها علماء الأمة، واجتهدوا في دراستها وبيانها كظاهرة علمية للتعامل مع النصوص، ومنهجية متكاملة لدراسة الفكر وثماره.

ومن المعلوم أن علم أصول الفقه يرتبط ارتباطا وثيقا بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وقد انتشر علم القرآن والحديث في الغرب الإسلامي عموما والقطر الشنقيطي خصوصا مع دخول الإسلامي في المنطقة واختيارهم المذهب المالكي، على غرار شعوب المنطقة وعكوفهم على دراسة فروعهم، والنظر في مسائله، ويعد كتاب (الموطأ) للإمام مالك، أول كتب الحديث انتشارا في الغرب الإسلامي، ويتضمن هذا الكتاب كما هو معلوم مجموعة من الأصول التي اعتمدها مالك من كتاب، وسنة، وإجماع، وقياس، وعمل أهل المدينة....

وجدير بالذكر أن الشناقطة كانوا يعتبرون علم الأصول من متممات العلوم لذلك لم يتطور عندهم بشكل سريع ولم يحظ بما حظي به غيره من العناية والدرس رغم وصوله المبكر كما سنرى،

#### أهداف البحث:

- تهدف هذه الدراسة إلى معرفة تاريخ علم أصول الفقه في قطر من أقصى الأقطار الإسلامية وأقلها تعريفا بتراثه الإسلامي الزاخر، ومشاركاته في العلوم الإنسانية وإبداعات رواده الفكرية. وذلك من خلال:
- المساهمة في التعريف بالتراث الأصولي بشكل عام، خصوصا في منطقة الغرب الإسلامي.
  - البحث عن الإضافات ومراحل التطور التي مر بها علم أصول الفقه في بلاد شنقيط.
  - معرفة أوجه التأثير والتأثير بين علماء الأصول رغم اختلاف الأزمان وتنوع المدارس.
  - التعريف ببعض أعلام القطر الشنقيطي ممن كانت لهم مساهمات وإضافات في الفكر الأصولي.

#### أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث في كونه يمثل إضافة للأبحاث المعاصرة التي تتناول تاريخ العلوم الإسلامية، ومراحل تطورها، وكشف الغبار عن تراث لم يتناول بعد بما يكفي نقدا وتحليلا بالرغم من أهميته العلمية وقيمه التاريخية، ليكون هذا البحث لبنة يمكن أن يستأنس بها عند البحث ومعرفة هذا التراث.

## إشكالية البحث:

رغم الجهود الجبارة التي يقوم بها العلماء والباحثون للتعريف والنشر للتراث الإسلامي، إلا أن هناك بعض الأقطار بقي تراثها ومشاركة أعلامها دون المستوى المطلوب بسبب غياب المراجع، وقلة الدراسات السابقة التي يمكن القول إن ما توفر منها لم يكن شاملا ولا مصنفًا، بل هناك بعض المواضيع الجزئية بحثت لتناول تراث أحد الأعلام، أو حقبة معينة لهذا العلم أو بعض مباحثة لم تصل إلى الشمول والتناسق الزمني المطلوب.

## منهجية البحث:

استعملت في هذا البحث مناهج متنوعة بحسب تنوع المواضيع ودراساتها، كان أغلبها المنهج المقارن: وذلك لكشف أوجه التشابه والمقارنة في بعض القضايا، وسرت على طريقة المنهج التاريخي في تجميع وتحليل بعض الكتب والمصادر، كما أخذت من المنهج الوصفي عند راسة بعض الظواهر واستخلاص النتائج وحصرها، وقد اقتضى ذلك كله تقسيم البحث لمحاور أربعة يمكننا من خلالها أن نحصر الأطوار التي مر بها الفكر الأصولي في القطر الشنقيطي.

## المحور الأول: طور النشأة:

لقد بدأ ظهور علم أصول الفقه في القطر الشنقيطي مع بداية القرن الخامس الهجري مع تلميذ الباقلاني، عبد الله بن ياسين<sup>(1)</sup>، مؤسس الدولة المرابطية وهو الذي اشتهر عنه أنه كان: " يعلم الشريعة ويقرئ الكتاب والسنة، حتى صار حوله فقهاء، وكل من انقاد إلى الحق على طريق الورع والتقوى والخشية لله والمراقبة، فرتب له أو قاتا للمواعظ والتذكير وإيراد الوعد والوعيد<sup>(2)</sup>."

كما ساهم الإمام الحضرمي أيضا في نشره وتدرسه في هذا العصر<sup>(3)</sup>، وهو عالم وإمام في الأصول واللغة استخدمه أبو بكر بن عمر<sup>(4)</sup> ليخلف عبد الله بن ياسين في إمامة دولة المرابطين.

ويرى رضوان السيد أن ثقافته كانت كلامية أصولية، وهو ما لم يكن معروفا عند مالكية الغرب الإسلامي<sup>(5)</sup>. وقد كانت السمة البارزة في هذه المرحلة هي غلبة الفروع العملية، فقد ساهم المرابطون في نشر وتوطيد دعائم المذهب المالكي ونشره في الشمال الإفريقي وبلاد الأندلس وبلاد السودان.

وبعد انقضاء دولة المرابطين، اشتهر أيضا من العلماء في بلاد شنقيط بعض تلامذة القاضي عياض ومن أبرزهم الشريف عبد المؤمن<sup>(6)</sup> مؤسس لمدينة "تيشيت"، والحاج عثمان<sup>(7)</sup> وذلك في القرن السادس الهجري.

(1) هو أبو محمد عبد الله بن ياسين الجزولي، من أهل سوس أخذ العلم في المغرب والأندلس وتلمذ على وجاج ثم أرسله مع يحيى بن ابراهيم الكدالي ليعلم أهل الصحرى كان عالما ربانيا ومجاهدا تقيا توفي شهيدا سنة 434هـ.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

(4) المرجع السابق.

(5) انظر: الإشارة في تدبير الإمارة، للحضرمي، ص12.

(6) هو أبو محمد عبد الله بن ياسين الجزولي، تم ذكره في السابق.

(7) هو أبو محمد عب الله بن ياسين الجزولي، تم ذكره في السابق.

وحسب ما هو قائم من مصادرٍ حتى الآن لم نلتمس وجود علم أصول الفقه بشكل مستقل، وإنما كان منثوراً من خلال فنون أخرى سواء من العلوم الشرعية أو العقلية عبر مباحث وفصول.

### المحور الثاني: طور الدراسة والتشكل:

ويبدأ هذا الطور من أوائل القرن العاشر الهجري تزامناً مع انتشار المدرسة الكلامية في المغرب الأقصى، وكثرة الترحال والتواصل العلمي والثقافي، خصوصاً بعد زيارة المغيلي التلمساني للمنطقة ومناقشاته لعلمائها ومن بين أولئك سيد عمر الكنتي<sup>(8)</sup> الذي التقى بالمغيلي ولزمه، وكما يقول صاحب كتاب "جنة المرید" فقد تكلمنا في جميع العلوم منقولها ومعقولها فكل منهما بحر متوسع في المعارف والفنون<sup>(9)</sup>.

وقد نوقشت خلال هذه المرحلة الكتب والمراجع الأصولية ودرست في البلاد مثل كتاب "جمع الجوامع" لابن السبكي<sup>(10)</sup> وشروحه وكتاب "البرهان" لإمام الحرمين، "المستصفى" للغزالي<sup>(11)</sup> و"المختصر" لابن الحاجب، و"التنقيح" للقرافي<sup>(12)</sup>.

وقد تميزت هذه المرحلة بالانفتاح على المدن والحواضر الإسلامية الكبرى عن طريق المراسلات والرحلات العلمية، ومن أبر العلماء الأصوليين في هذه الرحلة:

- أحمد بن أحمد الكدالي الصنهاجي، المتوفى 991هـ الذي رحل إلى المشرق فأخذ في مصر: عن الإمام ناصر اللقاني<sup>(13)</sup>، والشيخ التاجوري، والأجهوري كما أخذ في الحجاز عن ابن حجر المكي، وعبد العزيز اللمطي، وعبد القادر الفاكهياني.. وغيرهم.

وقد ذكر ابنه أحمد بابا التنبكي في "نيل الابتهاج" أنه ألف في فن الأصول كتاباً ولم يكمله، ووصفه بأنه كان أصولياً بيانياً<sup>(14)</sup>.

- محمد المعروف بـ (بغيع): الونكري، المتوفى سنة 1002هـ درس علم الأصول على والده أحمد، ورحل إلى المشرق وأخذ عن الإمام ناصر اللقاني، وغيره وقد عرف بسعة العلم حتى وصف بأنه مجدد بلاد السودان في القرن العاشر هـ<sup>(15)</sup>.

وفي هذه المرحلة نجد المباحث الأصولية بالرغم من وجودها واستعمالها الكثير من خلال الفتاوى والنزعات القضائية،

(8) هو أبو محمد عب الله بن ياسين الجزولي، من أهل سوس أخذ العلم في المغرب والأندلس وتلمذ على وجاج ثم أرسله مع يحيى بن إبراهيم الكدالي ليعلم أهل الصحرى كان عالماً ربانياً ومجاهداً تقياً توفي شهيداً سنة 434هـ.

(9) المرجع السابق.

(10) المرجع السابق.

(11) المرجع السابق.

(12) المرجع السابق.

(13) المرجع السابق.

(14) المرجع السابق.

(15) المرجع السابق.

إلا أن الطغيان المذهبي والخوف من محذور الخروج عنه شكل السمة البارزة في تلك المرحلة.

### المحور الثالث: طور النقاش والتأليف:

ويمكننا تمييز بداية هذه المرحلة من خلال أواخر القرن الحادي عشر الهجري، حيث بدأ نقاش القضايا الأصولية من خلال انتشار الكتابة في النوازل الفقهية، وتخريج الفروع خلال هذا الطور ظهرت الكتابة المستقلة في علم أصول الفقه وكثر المنشغلون به من العلماء والطلبة، وقد توجت هذه المرحلة بتأليف ابن بونا الثلاث في الأصول:

- مبلغ المأمول.

- شرح مبلغ المأمول.

- درر الأصول.

ومن أبرز العلماء الذين مثلوا هذه المرحلة:

### - سيدي عبد الله بن محمد المشهور بابن "رازكه" العلوي:

المتوفى سنة 1144هـ والذي لم يكن أصوليا فقط بل كان فقيها وشاعرا وسياسيا وقد وصفه معاصره العلامة محمد سعيد اليدالي بأنه: "الجامع بين المعقول والمنقول"<sup>(16)</sup>.

درس في بلده وتعلم على يد أشهر علمائه، حتى ذاع وانتشر صيته ثم رحل للمغرب وأخذ عن بعض أعلامه وكانت له صلة وعلاقة متواصلة مع الأمير العالم محمد بن مولاي إسماعيل.

وقد قرأ الأصول على جده عبد الله المشهور بالقاضي، وفي المغرب على التاودي والبناني.

له نظم في الأصول يعرف بـ: "السيدية" نسبة له ابن حامد<sup>(17)</sup>.

ومن ردوده العلمية ردوده على شيخه: مینحن عندما أفق "بكفر من لا يستحضر الصفات الواجبة في حق الله تعالى مع الفهم"<sup>(18)</sup>.

### - محمد سعيد اليدالي:

كان عالما ومؤرخا وشاعرا، توفي سنة 1166هـ، ترك عدة تأليف من أبرزها تفسير كتاب الله سماه: "الذهب الإبريز على شرح كتاب الله العزيز" الذي يعد من أوائل التفاسير الشنقضية.

وقد أوصل صاحب كتاب "النجم الثاقب" تأليفه إلى الخمسين.

وقال عنه: وقد وقفت على جملة منها تدل على سعة علمه وكثرة نقله وتبحره في سائر العلوم المعقولة والمنقولة.

أما معرفته بعلم الأصول فيدل عليها الكثير من تراثه العلمي خصوصا رسالته في الرد على شيخه ابن أيد الأمين الذي وصفه بأنه بلغ درجة الاجتهاد<sup>(19)</sup>.

(16) المرجع السابق.

(17) المرجع السابق.

(18) المرجع السابق.

(19) المرجع السابق.

### - الشيخ سيد المختار الكنتي:

هو المختار بن أحمد، بن أبي بكر، بن محمد، بن حبيب الله، بن الوافي، وُلد الشيخ سيد المختار الكنتي سنة 1142 هـ/ بإحدى قرى "أزواد" بالصحراء الشرقية، وتوفي سنة 1226 هـ.

ترك الشيخ سيد المختار الكنتي كمًّا هائلاً من المؤلفات والتي تتميز بغناها وتنوعها واختلاف مجالاتها وتعدد حقولها المعرفية بين فقه وتصوف ولغة وأدب، وقد أوصل بعض الباحثين مؤلفاته إلى أربعة عشر وثلاثمائة مؤلف. وقد قال النابغة الغلاوي، بأن لفظ "الشيخ" إذا أطلق في البلاد الشنقظية فالمقصود به الشيخ سيد المختار الكنتي دون منازع.

وقد أنكر على فقهاء عصره الذين اقتصرُوا على المختصرات الفقهية و اكتفوا بها عن الأصول و الأمهات، فهو لا يعتد بهم؛ إذ حبسوا أنفسهم في دائرة المختصرات و التعليقات، و لا يطمئن إلى ما يجترونه من سفاسف و ترهات، و يعتبرهم آفة على العلم و خطراً عليه؛ حيث كان يردد: "من لم يثبت على دعيمة أصل تلاعبت به أقوال المذاهب" وله في ذلك قصيدة طويلة توضح منهجه العلمي، و طريقة استنباطه الأحكام يقول في بعض أبياتها:

وياك ترضى باقتناص فروعها	بغير ارتشاف من مشاربها العذب
فإن الأصول كالقواعد تقتضي	طمأنينة للقلب، نجحاً بلا ريب
ومن يترك القرآن نسياً وراءه	فقد زل في التمثيل عن ناجح الرتب
ومن حاد عن نص الحديث سفاهة	فقد أبدل الجياد بالحمير الحدب
ولا تقفون ما لست تعلم إنه	ضلال وإضلال وداهية تشب
وثق بكتاب الله والسنة التي	أتت عن رسول الله والعكس فاجتنب (20)

### المحور الرابع: طور النضج والتكامل:

وقد بدأ هذا الطور في القرن الثاني عشر الهجري، حيث انتشر علم الأصول وتوسع حتى وصلت التأليف الأصولية في هذا القرن إلى: أكثر من أربعين كتاباً (21).

ونشأ الاهتمام والعناية بشكل كبير بأصول ثانوية هي القواعد الفقهية وأصول المذهب. وجمع أقوال علمائه الأصولية. ومن أبر العلماء الذين مثلوا هذه المرحلة:

### - سيدي عبدالله بن الحاج ابراهيم العلوي:

هو العلامة المحدث الأصولي مجدد عصره، من أجل العلماء الذين خدموا أصول الفقه عموماً وأصول المذهب المالكي على وجه الخصوص في الغرب الإسلامي، ولد سنة (1157هـ) في مدينة تجكجة (22)، نشأ في أسرة علمية مشهورة،

(20) المرجع السابق.

(21) المرجع السابق.

(22) المرجع السابق.

بدأ طلبه للعلم داخل البلاد، وأخذ عن مشاهيرها مثل ابن بونا، ثم سافر خارج البلاد لطلب العلم وأخذ عن كثيرين خصوصا في المغرب مثل البناني<sup>(23)</sup> وغيره، ثم رجع لبلده وأسس محضرته التي ذاع صيتها وانتشر خصوصا في تدريس علم الأصول، وعلم الحديث. ولم يقتصر على التدريس فقط، بل تولى القضاء والفتيا، وكان له دور سياسي كبير في منطقتة، ترك الكثير من المؤلفات المشهورة في الحديث والبيان والفقه والأصول، ومن مؤلفاته الأصولية:

#### - مراقي السعود:

وهو أشهر كتاب متداول حتى الآن لدراسة علم الأصول في البلد، وهو نظم يقع في زهاء ألف بيت من الرجز.

#### - نشر البنود على مراقي السعود:

وهو شرح لكتابه مراقي السعود يقع في جزأين<sup>(24)</sup>.

#### - سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار الكنتي:

ولد في بيت علم ورياسة في منطقة أزواد<sup>(25)</sup>، سنة (1165هـ) والده الشيخ سيدي المختار<sup>(26)</sup> من أكبر العلماء والصلحاء، وأبرز من نشر العلم والتصوف في هذه المنطقة.

أخذ سيدي محمد ويسمي (الخليفة) العلم عن أبيه وغيره من العلماء، وتولى التدريس ومهام والده إلا أن ذلك لم يشغله عن التأليف حيث ألف ما يزيد على عشرين كتاباً، في مختلف العلوم ومن تأليفه في علم الأصول:

#### - منح الفعال.

- ترجمان المقال ورافع الإشكال بشرح منح الفعال.

#### - محض باب بن عبيد الديباني

ولد جنوبا في ولاية الترازة، سنة (1185هـ)، تربى في بيت علم وصلاح، وقد بدأت عليه مخايل الذكاء منذ صغره، حتى تفوق على أقرانه وتولى التدريس، وصار أحد علماء عصره، اشتهر بالقضاء وحل النزاعات والنوازل، ترك الكثير من الكتب المشهورة مثل "ميسر الجليل على شرح مختصر خليل" وغيره..

#### ومن تأليفه في علم الأصول:

#### - سلم الوصول:

وهو نظم مشهور يقع في حدود 753 بيتا من الرجز، ووضع عليه شرحا مختصرا على شكل طرة.

#### الخاتمة:

نستنتج مما سبق بعد هذه الجولة المقتضية لمراحل ونشأة الفكر الأصولي في القطر الشنقيطي، يمكننا القول إن الفكر الأصولي مر بمراحل متدرجة في البناء ابتداء بالتأصيل الفكري للمذهب، وصولا لمرحلة الاكتمال والنضوج مرورا

(23) المرجع السابق.

(24) المرجع السابق.

(25) المرجع السابق.

(26) المرجع السابق.



بالتطور، أن علم الأصولي وصل إلى المنطقة في وقت مبكر، بينما تأخر التدوين والكتابة فيه، وأن الأعمال الإجرائية لعلماء هذا القطر تدل على طول الباع والاستيعاب لقواعد علم الأصول فهماً وتنزيلاً. كما نلاحظ مما سبق ضعف دعوى القول بعدم اهتمام أهل المغرب الأقصى بعلم الأصول، كذلك أيضاً المكانة البارزة لمؤلفات أهل هذا القطر الأصولية، التأسيسية منها والتكميلية. والتفاعل معها أثراً وتأثيراً.

#### المراجع:

- عبد الودود ولد عبد الله، الحركة الفكرية في بلاد شنقيط حتى نهاية القرن الثاني عشر (18 م). الطبعة 2015م، مركز الدراسات الصحراوي، سيدي عبدالله العلوي نشر البنود على مراقي السعود، الطبعة 1971 بيروت، دار الكتب العلمية.
- الإمام الحضرمي، الإشارة إلى أدب الإمارة تحقيق رضوان السيد الطبعة 1981م، بيروت.
- د. عثمان أبي المعالي الفكر الأصولي عند علماء بلاد شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، الطبعة الأولى 2021م دار نجبويه المعرفية.
- أحمد بن الأمين الوسيط في تراجم أدياء شنقيط الطبعة الثالثة مكتبة الخانجي مصر 1991م.
- الخليل النحوي: بلاد شنقيط المنارة، ط. 1987، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- المختار بن حامدن حياة موريتانيا - الطبعة الدار العربية للكتاب 1990م، تونس.
- أحمد بابا التنبكتي نيل الابتهاج بتطريز الديباج الطبعة الأولى سنة 1329هـ.
- محمد سعيد اليدالي، المرئي شرح صلاة ربي، تحقيق الدكتور محمد الطالب عيسى، تم الاسترجاع من الرابط: <https://www.noor book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%179%D9%>
- ابن خلكان وفيات الأعيان تحقيق الدكتور إحسان عباس، لبنان بيروت دار الثقافة.
- د. الحمدي أحمد "الريادة العلمية والمشيخة الصوفية بأزواد: حياة الشيخ سيد المختار الكنتي السياسية والعلمية"، دار قوافل للنشر، 2017.